Avrasya Sosyal ve Ekonomi Araştırmaları Dergisi (ASEAD)
Eurasian Journal of Researches in Social and Economics (EJRSE)
ISSN:2148-9963 **www.asead.com**

أثر الصراع المصري - العثماني في الشام على الحجاز[1]

(1833 -1831)

SURİYE'DEKİ MISIR-OSMANLI ÇATIŞMASININ HİCAZ ÜZERİNDEKİ ETKİSİ (1831-1833)

THE IMPACT OF THE EGYPTIAN -OTTOMAN CONFLICT IN SYRIA ON THE HEJAZ (1831-1833)

د. علي عفيفي علي غازي[2]

D. Ali Afify Ali GHAZY

يُسلط هذا البحث الضوء على تأثير الصراع المصري- العثماني في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي على الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وذلك من خلال وثائق الأرشيف المصري، في فترة من أشد فترات التاريخ العربي حرجًا، فعندما تقدمت جيوش محمد علي والي مصر (1805-1848) بقيادة نجله إبراهيم باشا إلى الشام، ووقفت أمام أسوار عكا الحصينة وما أحاط بها من هالة كبيرة منذ صمودها العظيم أمام قوات نابليون، بدأت عنايته بالجزيرة العربية عامة، والحجاز خاصة، وما بها من جنود وحاميات عسكرية تقل عن ذي قبل. إذ أصبح اهتمامه منصبًا على إعداد الجيوش النظامية الحديثة للمعركة التي يخوضها ضد الدولة العثمانية في الشام، وقل اهتمامه بالجند غير النظاميين في الحجاز، الأمر الذي أدى إلى ثورة الجند غير النظاميين ضد حكومته في الحجاز، بقيادة محمد أغا الشهير بتركي بلماز، أي الذي لا يحسن التحدث بالتركية.

فيُحلل البحث أسباب ودوافع هذه الثورة وأهدافها، وهل كانت رد فعل على توسعات والي مصر في الشام؟ وهل حدثت اتصالات بينها وبين الباب العالي العثماني؟ وكيف تعامل معها محمد علي؟ وكيف استغل انتصارات قواته في الشام كقوة دعائية له ضد الثورة؟ وكيف ادت هذه الأنباء لتهيئة الأجواء لحملته التي قادها أحمد باشا يكن؟ وكيف كانت هذه الثورة سببًا في توسعاته في اليمن؟ وأين ذهب قادة الثورة بعد فشلها؟ وما هي الإجراءات التي اتخذها محمد علي بعد القضاء على الثورة؟ وكيف شغلت الثورة قطاعًا من قوات باشا مصر، كان بحاجة إليه في حروبه في الشام؟

[1]Bu Makale 2-4 Kasım 2019 tarihleri arasında Antalya'da düzenlenen ASEAD 6. Uluslararası Sosyal Bilimler Sempozyumu'nda sunulan bildiriden geliştirilmiştir.

[2]**صحفي وأكاديمي مصري**

Egyptian Journalist and Academic, Mısırlı Gazeteci ve Akademisyen

ABSTRACT

This research highlights, through documents of the Egyptian Archive, the impact of the Egyptian-Ottoman conflict on Hejaz (Mecca and Medina) during the fourth decade of the nineteenth century; one of the most critical phases in the Arab History. Mohamed Ali's (governor of Egypt 1805-1848) interest in Arabia in general, and in Hejaz and its forces and garrisons in particular, began to wane after he had sent his forces to Damascus, headed by his son Ibrahim Pasha, and had seen the fortified walls of Acre and their endurance in the face of Napoleon's forces. Instead, he focused his attention on preparing modern regular troops for his battle against the Ottoman Empire in Syria. He became less interested in irregular troops in Hejaz. This led those irregular troops to revolt against his government in Hejaz under the leadership of Mohamed Agha known as "Turkey Belmaz": one who cannot speak Turkish.

This research looks into the causes, drives and goals of this revolution. Was it a reaction to the expansions achieved in Syria by governor of Egypt? Did any communications take place between rebels and the Ottoman Sublime Porte? How Mohamed Ali dealt with the revolution? How he took advantage of the victories in Damascus as propagandistic fame in his interest against the revolution? How this news set the stage for his campaign led by Ahmed Yakon Pasha? How this revolution was a cause for his expansion in Yemen? Where have the leaders of the revolution gone after its failure? What were the procedures Mohamed Ali took after suppressing the revolution? How the revolution kept a section of the forces of the governor of Egypt busy while he needed it in his battles in Syria?

هذا البحث محاولة لكشف النقاب عن تأثير الصراع المصري العثماني على الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، في فترة من أشد فترات التاريخ العربي حرجًا، فعندما تقدمت جيوش محمد علي بقيادة نجله إبراهيم باشا إلى الشام، ووقفت أمام أسوار عكا الحصينة وما أحاط بها من هالة كبيرة منذ صمودها العظيم أمام قوات نابليون، بدأت عنايته بالجزيرة العربية عامة، والحجاز خاصة، وما بها من جنود وحاميات عسكرية تقل عن ذي قبل. إذ أصبح اهتمامه منصبًا على إعداد الجيوش النظامية الحديثة للمعركة التي يخوضها ضد الدولة العثمانية في الشام حينذاك، وقل اهتمامه بالجند غير النظاميين في الحجاز، الأمر الذي أدى إلى ثورة الجند غير النظاميين ضد حكومته في الحجاز، بقيادة محمد أغا الشهير بتركي بلماز، أي الذي لا يحسن التحدث بالتركية.

البداية تعود إلى ارتقاء السلطان محمود الثاني سدة الحكم في الدولة العثمانية عام 1808 فلم يتوان عن إرسال الكتاب تلو الآخر إلى محمد علي والي مصر (1805-1848) يطالبه بمحاربة الوهابيين، وإنقاذ الحجاز من أيديهم، ومحمد علي يتعلل بذرائع متعددة، وهو راغب في نفسه في أداء هذه المهمة التي كلفه بها السلطان، حتى واتته الفرصة عام 1811، فأعد حملة بقيادة ابنه الأكبر طوسون باشا عبرت البحر الأحمر ونزلت بميناء ينبع، ونجحت في دخول مكة والمدينة، والوهابيون ينسحبون أمامها حتى إذا حل صيف 1812 كروا عليها وهزموها هزيمة منكرة؛ يعللها عبد الرحمن الجبرتي على لسان أحد قادة الحملة أنه قال "أين لنا بالنصر، وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا ينتحل مذهبًا، وصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عراضينا آذان، ولا تقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم إذا دخل

الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفًا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع،... وعسكرنا يتعجبون من ذلك، لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته"(3) مما اضطر محمد علي إلى أن يذهب بنفسه إلى الحجاز للإشراف على قيادة الحملة.

وفي عام 1816 أرسل محمد علي ابنه الثاني إبراهيم باشا إلى الحجاز لقيادة الحملة بدلاً من طوسون باشا الذي كان قد مات من جراء حمى أصابته، واستطاع إبراهيم أن يهزم الوهابيين ويطاردهم في صحراء نجد حتى وصل إلى عاصمتهم الدرعية التي نجح بعد حصارها ستة أشهر في دخولها يوم 9 سبتمبر 1818، وقبل إبراهيم باشا الصلح "بعد أن كان آبيًا، ولان لهم بعد أن كان قاسيًا"(4) واستسلم عبد الله بن سعود ليصل القاهرة مقيدًا في 16 نوفمبر(5)، ليسافر إلى دار السلطنة "وصحبته جماعة من الططر... ومعه خدم لزومه"(6) فلما وصل إلى عاصمة الدولة العثمانية "طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون، وقتلوا أتباعه أيضًا في نواحي متفرقة"(7)، رغم شفاعة محمد علي، ليسدل الستار على الدعوة الوهابية والدولة السعودية الأولى.

وأراد إبراهيم باشا بعد انتصاره على الوهابيين أن يعقد في الدرعية مؤتمرًا بين علمائها وبين علماء أهل السنة، وهو ما يشبه من بعض الوجوه مؤتمر النجف الذي عقده نادر شاه عام 1743 لفض الخلاف بين السنة والشيعة، غير أن مؤتمر النجف انتهى بالاتفاق بين علماء الفريقين(8)، أما مؤتمر الدرعية فقد انتهى بذبح علماء الوهابيين جميعًا فلم "تنقض سوى دقائق معدودة حتى كان الجميع في عداد الموتى ودفنت جثثهم في ساحة الجامع"(9).

وأراد الباب العالي أن يكافئ إبراهيم باشا ابن محمد علي لانتصاره على الوهابيين فعينه السلطان محمود الثاني (1808.1839) على باشوية جدة في أغسطس 1817، ليصبح لقبه "والي إيالة جدة والحبش وشيخ الحرم بمكة المكرمة"(10) وعلى ذلك أصبح للباشاوية المصرية نوع من السيادة على الحجاز في ظل التبعية العثمانية حتى سنة 1840.

فعمل إبراهيم باشا على تدعيم أركان الحكم في الحجاز، وتأمين السكان على أموالهم وأملاكهم، ولم يدخر جهدًا في تنفيذ سياسة أبيه من حيث مكافأة الموالين لمصر بتعيين المرتبات والعلاوات وتوزيع الغلال والكساوى، وبلغ من رغبته في استمالتهم، وإظهار العطف عليهم أن عرض على بعضهم أن يرسلوا أولادهم للدراسة في الأزهر الشريف على أن يخصص لهم عزيز مصر مرتبًا كافيًا لإعاشتهم في القاهرة.

وفي الحقيقة لقد كان الباب العالي راضيًا عن منح محمد على حكم الإحساء من أجل أن يقضي على قواعد الوهابيين، بالرغم من رغبة إبراهيم باشا في العودة للحجاز ليستريح من عناء الحرب. وتؤكد الوثائق العثمانية أن هذا الانسحاب كان بناء على رغبة إبراهيم باشا وطلب محمد علي وبموافقة السلطان نفسه(11)، ويؤكد ذلك مكاتبة بعث بها محمد على إلى الصدر الأعظم يقول فيها "بناء على الرخصة السنية التي وقع التفضل بها لدى الاستئذان من طرفكم الزاهر الشرف طرف ولي النعم بشأن السماح بالعودة لولد خادمكم المطيع والي جدة عبدكم حضرة صاحب السعادة إبراهيم باشا من الدرعية إلى المدينة المنورة حسب إتمام مأموريته وبشأن الترخيص له بالحضور بعد الحج إلى مصر"(12).

---

(3) عبد الرحمن الجبرتي: ***عجائب الآثار في التراجم والأخبار***، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **الجزء السابع** (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2003) ص 226.

(4) عثمان بن عبد الله بن بشر: ***عنوان المجد في تاريخ نجد***، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، **الجزء الأول**، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1982)، ص 416.

(5) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، المحفظة 95، وثيقة 18***، من محمد صالح رئيس الكتاب إلى الجناب العالي، في 15 صفر 1234هـ/ 14 ديسمبر 1818م.

(6) عبد الرحمن الجبرتي: ***المصدر السابق، الجزء الثامن***، ص 463.

(7)عبد الرحمن الجبرتي: ***نفسه***، ص 467.

(8) على الوردي: ***لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث***، الجزء الأول ***من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر***، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1969).ص131. 134.

(9) بيير كربتيس: ***إبراهيم باشا***، ترجمة محمد بدران (القاهرة: 1937)، ص 40، 41.

(10) دار الوثائق القومية: ***محافظ ديوان بحربرا، محفظة 4، وثيقة 132***، من محمد نجيب إلى إبراهيم باشا، في 5 شوال 1232هـ/ 18 أغسطس 1817م.

(11) دار الوثائق القومية: ***محافظ ديوان بحربرا، محفظة رقم6، وثيقة 103***، من محمد درويش باشا الصدر الأعظم إلى الجناب العالي، 12 شوال 1234هـ/ 4 أغسطس 1819م.

(12) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، المحفظة 95، وثيقة 80***، صورة المكاتبة المحررة إلى الصدر الأعظم من محمد علي باشا والي مصر، في 5 ربيع الأخر 1235هـ/21 يناير1820م.

فأوعز السلطان بدوره إلى محمد على بضرورة الانسحاب من الإحساء، بالرغم من تخوفه من عودة النفوذ السعودي إلى المنطقة، إذ يعترف محمد على في رسالة بعث بها إلى الصدر الأعظم بأن المنطقة الممتدة من المدينة المنورة إلى الإحساء ممتلئة بأتباع آل سعود، الذين "اجترءوا على تجديد رسومهم الباطلة من جديد". ويعلل تراجع إبراهيم باشا من المنطقة سريعًا "لعدم إمكان المكث هناك بسبب القحط الجاري في تلك الحوالي"، محاولاً أن يطمئن الباب العالي بأنهم قد رأوا "سطوة السلطنة السنية القاهرة، وذاقتها كما ينبغي... بحيث لا تعتمد أن تحدث غائلة"، لأن البقية الباقية منهم لا تخرج عن كونهم "شرذمة قليلة بالقياس إلى جمعيتهم وحشودهم السالفة"، ووعده بأن يكتب لإبراهيم باشا والي جدة والحبش لكي يعمل على "الاعتناء باستحصال صورة دفع الطائفة المرموقة وتنكيلهم بأي وسيله أمكن"، و"الاهتمام بإكمال وساءل المستحسنة المستلزمة لدفع طائفة المرموقة وتنكيلهم على مقتضى الإرادة السلطانية" لكي "لا يجد طائفة الخوارج المكروهة فرصة ومنجاة بعد الآن"(13).

وفي رسالة بعث بها إبراهيم باشا إلى والده ذكر له أنه سيظل في نجد مشرفًا على أمورها لحين عودة الجيش من الإحساء، حتى إذا ما عاد قرر العودة إلى المدينة المنورة لأداء فريضة الحج(14)، ثم رجع إبراهيم باشا إلى مصر في 9 ديسمبر 1819، بعدما أناب عنه أحد القادة، وأقيمت الاحتفالات بالقاهرة عدة أيام وعم السرور بمقدمه(15).

وأسرع محمد علي يبرر عودته في مكاتبة إلى الصدر الأعظم بتاريخ 21 يناير 1820، يخبره بأنه بناء على الإرادة السنية قد غادر إبراهيم باشا والي جدة الدرعية إلى المدينة المنورة لإتمام المأمورية المكلف بها، وبعد أن أتمها وأدى فريضة الحج عاد إلى مصر لأجل الاستراحة من عناء الأعمال(16).

وعندما نشبت حرب الشام الأولى التي خاضها محمد علي باشا ضد السلطان العثماني، بدأت عنايته بالجزيرة العربية عامة، والحجاز خاصة، وما بها من جنود وحاميات عسكرية تقل عن ذي قبل. إذ أصبح اهتمامه منصبًا على إعداد الجيوش النظامية الحديثة للمعركة التي يخوضها ضد الدولة العثمانية في الشام حينذاك، تاركًا الأمور في الحجاز لتصرفات الوالي من قبله فيها، وقل اهتمامه بالجند غير النظاميين في الحجاز، الأمر الذي أدى لفتح باب جديد عليه، تمثل في ثورة الجند غير النظاميين ضد حكومته في الحجاز، مطالبين بصرف الرواتب والعلوفات التي تأخر صرفها إليهم.

وذكر بعض المؤرخين(17) أن من الأسباب التي أدت إلى قيام هؤلاء الثوار بالتمرد ضد حكومة الحجاز، هو وصول بعض الكتائب من الجيش المصري النظامي الجديد المدرب وفق النظم الحديثة، وما لاحظوه من عناية الحكومة بهم وتفضيلهم على عناصر الجيش التركي القديم.

وإلى جانب هذه الأسباب كان هناك سببًا آخر لثورة الجند غير النظاميين، هو وجود تنافس ونزاع شبه مستمر بين خورشيد بك، الذي تولى منصب محافظ مكة المكرمة خلفًا لعابدين بك 1247هـ/ 1831م(18)، وزنار أغا (زنبل أغا) قائد إحدى مجموعتي جيش الباشا في الحجاز(19)،

---

(13) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر4، مكاتبة رقم154***، من محمد على إلى الصدر الأعظم، في 9 محرم 1236هـ/18 أكتوبر 1820م.

(14) دار الوثائق القومية: ***محافظ ديوان بحربرا، محفظة 6، وثيقة 117***، من إبراهيم باشا إلى الجناب العالي، في 21 ذي القعدة 1234هـ/11 سبتمبر 1819م.

(15) دار الوثائق القومية: ***محافظ ديوان بحربرا، محفظة6، وثيقة 22***، من محمد نجيب إلى الجناب العالي، 25 صفر 1234هـ/ 24 ديسمبر 1818م؛ ***محفظة 16، وثيقة 24***، من الحاج خليل القاضي بعسكر الروم إيلي إلى الجناب العالي، 23 صفر 1234هـ/ 22 ديسمبر 1818م؛ ***وثيقة 25***، من الحاج محمد رفيع القاضي بدار السلطنة سابقا إلى الجناب العالي، دون تاريخ؛ عبد الرحمن الجبرتي: ***المصدر السابق، الجزء الثامن***، ص 462، 463؛ أمين سامي باشا: ***تقويم النيل، الجزء الثاني، عصر محمد علي باشا***، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2003)، ص 267، 278.

(16) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر4، وثيقة 80***، من محمد علي باشا إلى الصدر الأعظم، في 5 ربيع الآخر 1235هـ/ 21 يناير 1820م.

(17) عبد الحميد البطريق: ***من تاريخ اليمن الحديث 1517 1840*** (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1969)، ص 65؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: ***محمد علي وشبه الجزيرة العربية1819 – 1840***، (القاهرة: دار الكتابالعربي، 1986)، ص 173، 174.

18() دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 710***، من الجناب العالي إلى قاضي مكة وأعيانها بشأن تعيين خورشيد باشا محافظًا لمكة، 20 محرم 1247هـ/ 1 يوليو 1831م.

(19) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 824***، من الجناب العالي إلى حسين أغا وعلي أغا بكمزجي زادة وخورشيد أغا من قواد الجنود بالحجاز، في 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

ونجح زنار أغا في استمالة بعض قادة الجند غير النظاميين ضد خورشيد بك، وهم: تركي بلماز محمد أغا الدليلان، وإبراهيم أغا السواري ابن علي أغا البكمزجي زادرة، وحسين أغا(20).

وكان محمد أغا تركي بلماز Turki Bilmaz من أشد المتحمسين لمناصرة زنار أغا ضد خورشيد بك، وهو محمد أغا قبودان مملوك من أصل جورجي لا تذكر عنه الوثائق سوى أنه من مماليك مصطفى بك زوج أخت محمد علي كان من سواري الجيش في الحجاز، ثم عين قائدًا لفرقة الجند غير النظامية في رمضان 1238هـ/ مايو 1823م، اشتهر باسم "تركي بلماز" أي الرجل الذي لا يُحسن التحدث بالتركية، بعدما ترقى رئيسًا للجند غير النظامية (الدليلان) بدأ يثير المشاكل وارتكب أفعالاً غير مرضية، واستولى على تربه والطائف، فنال تأنيبًا قاسيًا من محمد علي وتهديدًا بالنفي إلى الهند أو البصرة، وعدم تمكينه من رؤية مصر مرة أخرى، إن لم يستقم ويبتعد عن طريق الشر(21).

وكتب إلى محافظ مكة أحمد شكري يخبره إرادته بأن يكون رهن طاعة المحافظ المشار إليه ولا يخالف رأيه ورضاه، ويرجع عن سبيل الغي، ويزدجر عن الوقاحة التي بدرت منه، "وإلا فاقبضوا عليه وأرسلوه إلى جدة واجعلوه إلى البصرة أو إلى الهند وانتخبوا من ترونه مناسب من رؤساء عساكره وانصبوا مكانه"، على أن تعرض النتيجة على محمد علي(22).

ولكنه أبلى بلاءًا حسنًا في حرب عسير، وخاصة معركة "البيشه"(23)، فتوسط له أحمد باشا شكري محافظ مكة المكرمة راجيًا التماس "إصدار العفو عن التقصيرات والجنح السابقة التي بدرت من عبدكم توركجه بيلمز محمد أغا أحد رؤساء أدلاء ولي النعم المعين بمعيتي لسلوكه سبيل الرضا في مصلحة العسير أخيرًا، وإظهاره للغيرة والولاء الصادق والصداقة الأكيدة، وإطاعته في كل ما انتدب له ونرجو أن ينال عناية الحضرة المشيرية وعطفها"(24). فنال العفو عنه و"عن زلاته السابقة"(25) مع لفت نظره إلى أن "الرجولة لا يجب ألا تشاهد في وقت الحروب فقط، بل يجب إجراؤها في كل الأحوال فاسأل واستعلم غيرتك عما يجب عمله إزاء مقامك ورقبتك بما يتفق ورئاستك وزعامتك وكن مشغولاً بذلك وإن شاء الله ستكون العاقبة خيرًا"(26).

وكانت الأحداث التي مر بها، والتضحيات التي بذلها، في اليمن وعسير تحت قيادة أحمد باشا شكري، وعدم تحقيق آماله وطموحاته الشخصية، وعدم مكافئته ماديًا أو معنويًا بما يستحق في نظره هو على الأقل، قد أثرت على سلوكه ونزعاته الشخصية، فظلت روح الثورة والتمرد مختمرة داخله، وربما كان ولاءه للسلطان العثماني، واعتقاده بقرب نهاية محمد علي الذي بدأ في محاربة الدولة العثمانية في الشام، دافعًا له للثورة ضد حكومة محمد علي في الحجاز، فقد كان يطمع في أن يقضي على حكم محمد علي في الجزيرة العربية، ليستأثر بثقة رجال الباب العالي في الآستانة، لكي ينصبوه واليًا على الحجاز.

وقد واتت تركي بلماز الفرصة بعدما انتشرت الأخبار في الحجاز عن إخفاق إبراهيم باشا أمام عكا، مستغلاً انشغال محمد علي بحروبه ضد السلطان العثماني في الشام وآسيا الصغرى، معلنًا أسباب ظاهرية لثورته، تمثلت في المطالبة بصرف رواتب الجند غير النظاميين المتأخرة، رافضين الوعود التي أعلنها لهم خورشيد باشا، والي الحجاز من قبل محمد علي، عن قرب وصول مرتباتهم.

وقام الجند الثائرون بارتكاب كثير من الأعمال التعسفية، ونهب الأموال والمتاجر في جدة، وأصبح محمد أغا تركي بلماز الآمر الناهي، واتصل تركي بلماز بعلي رضا باشا والي بغداد (1831-1841)، الذي شجعه على التمرد والعصيان، مغريًا إياه بولاية الحجاز، مؤكدًا له أن قوات محمد علي في الشام ستهزم بلا محالة وستتحطم آماله قريبًا، فتقدم تركي بلماز من جدة إلى مكة المكرمة ضد خورشيد باشا الذي تولى منصب

(20) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، المحفظة 98، وثيقة 559***، من الجناب العالي إلى أحمد أغا الأرزنجاني وكيل الحرمين، في 7 رمضان 1247هـ/9 فبراير 1832م.

(21) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر14 ، وثيقة 276***، من المعية إلى محمد أغا تركي بيلمز رئيس الأدلاء المأمورة بالتوجه إلى الحجاز، في 22 ربيع الأول 1239هـ/25 نوفمبر 1823م.

(22) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 96، وثيقة 96***، من الجناب العالي إلى محافظ مكة، في 22 ربيع الأول 1239هـ/25 نوفمبر 1823م.

(23) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 96، وثيقة 203***، من الجناب العالي إلى أمين جمرك جدة، في 7 رجب 1239هـ/8 مارس 1824م.

(24) دار الوثائق القومية: **محافظ ديوان بحربرا: محفظة 9، وثيقة 9**، من أحمد شكري محافظ مكة المكرمة إلى الجناب العالي، في 21 رجب 1239هـ/ 22 مارس 1824م؛***محافظ الحجاز: محفظة 96، وثيقة 9***، من أحمد شكري محافظ مكة المكرمة إلى الجناب العالي، في 21 رجب 1239هـ/22 مارس 1824م.

(25) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 96، وثيقة 383***، من الجناب العالي إلى محافظ مكة المكرمة، في 11 رمضان 1239هـ/11 مايو 1824م.

(26) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 96، وثيقة 52***، من الجناب العالي إلى أحمد باشا محافظ مكة المكرمة، في 11 رمضان 1239هـ/11 مايو 1824م.

محافظ مكة المكرمة خلفًا لعابدين بك سنة 1247هـ/ 1831م(27) مطالبًا إياه برد ممتلكات زنار أغا قائد حامية مكة المكرمة، والتي كان خورشيد قد صادرها بسبب ارتكابه بعض المخالفات المالية، وفي الوقت نفسه يطالب بدفع كامل مرتبات الجند المتأخرة، معلنًا أن محمد علي وابنه إبراهيم خائنان للسلطان، وأن السلطان قد عزل محمد علي وأن شيخ الإسلام باستانبول قد اعتبر الباشا العجوز وابنه خارجين عن الإسلام.

عندئذ لاحت أمام السلطان محمود الثاني، الذي يخوض حربًا مع محمد علي في الشام، فرصة ثمينة، فقد كان يهمه بقاء الثورة في الحجاز مشتعلة ليعمل من خلالها علي إرباك محمد علي، وتوزيع جهوده العسكرية، فكتب لتركي بلماز حينذاك فرمانًا بالولاية على الحجاز من طرفه(28)، وطلب من علي رضا باشا والي بغداد إبلاغه بمضمون الفرمان السلطاني، منتهزًا بذلك الصلة الوثيقة التي تربط والي بغداد بقائد الجند الثائرين، وكانت الدولة العثمانية قد أدركت أهداف وأطماع محمد علي في الجزيرة العربية والشام، فأرادت أن تقطع عليه طريق الرجعة باستغلال ثورة الجند في الحجاز.

ولكن محمد علي أدرك دوافع هذه الثورة، ومدى تأثيرها على آماله وطموحاته، خاصة وهي تنبعث من الحجاز، ومن جوار الحرمين الشريفين، اللذين يحتلان أهمية دينية وسياسية في استراتيجية الباشا التوسعية في الجزيرة العربية، وكان صدور فرمان السلطان بتدعيم سلطة الثورة في الحجاز، مزيدًا من قلق محمد علي، خاصة وأنه جاء في ظروف دقيقة للغاية، وفي فترة عصيبة على الباشا. وأمام إدراك محمد علي لموقفه في الشام فقد حاول تهدئته بإصدر فرمان بتعينه حاكمًا عامًا على الحجاز وأرسله له عن طريق بغداد(29).

ومن هنا كان على محمد علي أن يوازن بين استخدام السياسة والمهادنة مع الثوار، وبين الأسلوب الحربي، واللجوء إلى القوة المسلحة، لكي لا تتسع آفاق الثورة، ويصعب علاجها، لاسيما وأنه قد أدرك أن والي بغداد يلعب دورًا خطيرًا في تدعيم زعيم الثوار، بهدف عزل الحجاز عن حكومته، الأمر الذي سيؤثر بدون أدنى شك على استراتيجيته العسكرية وخططه الحربية في ذلك الوقت، فلجأ في بداية الأمر إلى انتهاج أسلوب السياسة والدهاء والمكر مع قادة الثوار، فكتب إليهم يطالبهم بالخضوع، والكف عن التمرد، مبديًا استعداده لإصلاح ذات البين فيما بينهم، حين وصولهم إلى مصر، مستدعيًا إياهم للمثول بين يديه لإيجاد الحلول المرضية لمطالبهم، وإعطائهم الوعود بعدم الإضرار بهم إن هم قدموا إليه في مصر ليصلح بينهم.

كما طلب من وكيل الحرمين الشريفين حسن أغا الأرزنجاني أن يسافر إلى مكة المكرمة لإصلاح حال الثوار وتسوية المشكلة بينهم، وتوزيع الجنود بين عدة جهات مختلفة، لكي لا يتمكنوا من الاختلاط بقادة الثورة من الضباط الأتراك الذين يحرضونهم بصفة مستمرة، قائلاً له "لما أعهده في صداقتك فقد انتخبتك للقيام للأقطار الحجازية بدلاً من محو بك لمرضه، فيلزم القيام بمجرد وصوله والتوجه إلى الأقطار الحجازية لتسكين العساكر وتأليف قلوبهم".

أما قادة الثورة فقد طلب منه إرسالهم إليه بمصر بأي وسيلة "فعليك بإرسال تركجه بيلمز محمد أغا وزنبل أغا بأتباعهما إلى مصر بحيلة فنعم ما تعملون، أما إذا تعذر إرسالهما بحيلة، فالقبض على هذين الخنزيرين وارسالهما مغلولين الأيدي، وإلحاق عساكرهما بالآخرين، وبذلك تكون قد أديت خدمة جليلة"، وعليه "يجب عليكم أن تقوموا وتسافروا حالاً... فنأمركم أن تبذلوا ما هو في وسعكم وتقبضوا على المذكورين بأي وسيلة كانت وترسلوهما إلى مصر"، واختتم رسالته بتفويضه في "الرأي وإجراء المقتضى بحسب آرائك الصائبة"(30).

ثم كتب إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون طالبًا منه محاولة تسوية هذه المشكلة الطارئة بين الثوار وخورشيد بك، وبذل إمكانياته وجهوده للسعي نحو حل هذه المنازعة بين العساكر الجهادية والتركية(31). وكتب إلى حسين أفندي يأمره "بإرسال خمسة آلاف من

(27) دار الوثائق القومية: ***فاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 712***، من الجناب العالي إلى خورشيد باشا محافظ مكة المكرمة، في 20 محرم 1247هـ/ 1 يوليو 1831م.

(28) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: ***هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن***، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1351هـ)، ص 142.

(29) محمد حسن العيدروس: ***تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر***، (الكويت: عين للدراسات الإنسانيةالاجتماعية، 1996)، ص 229.

(30) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر41، وثيقة 559***، من الجناب العالي إلى حسن أغا الأزرنجاني وكيل الحرمين الشريفين، 7 رمضان 1247هـ/9 فبراير 1832م؛ رءوف عباس (وآخرون): ***الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي***، المجلد الأول (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2005)، أمر رقم 1607 أمر منه إلى حسن أغا وكيل الحرمين بمكة والمدينة في 7 رمضان 1247هـ/ 9 فبراير 1832م، ص334.

(31) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 828***، من الجناب العالي إلى أمير مكة المكرمة، 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

النقود إلى مكة لصرف مرتبات العساكر الذين حرضهم على التمرد زنبل أغا وتوركجه بيلمز محمد أغا، ويفيده أنه أوفد إلى مكة حسين أغا الأرزنجاني لإرضاء العساكر المتمردين واستقدام زنبل أغا وتوركجه بيلمز محمد أغا المومأ إليهما إلى مصر"(32).

وقد استغل محمد علي الأنباء التي وردت من الشام حول استيلاء قواته على عكا أحسن استغلال، فكتب إلى قادة الثورة في الحجاز ينبئهم بانتصارات جيشه وقرب سيطرته الكاملة على مدن الشام(33)، عله يفت من عزيمتهم، ويؤثر على نفسياتهم، فيتفرق الجنود والأهالي عنهم، ويأمرهم باصطحاب بعض الجنود والحضور إلى مصر.

فكتب إلى محمد أغا تركي بلماز يؤنبه على تمرده ويطلب منه الحضور إلى مصر ويخبره بثورة أهل بغداد على الوالي العثماني إيذانًا بالعبودية إلى مصر قائلاً "إننا بحول الله تعالي وقدرته وشوكة مصر وقوتها فتحنا قلعة حلب، واستولينا على الشام (دمشق) جنة الله في أرضه، ونأمل من جناب الحق أن تدخل حلب تحت الحوزة المصرية في بضعة الأيام المقبلة. وأهل بغداد طردوا الوالي المنصوب عليهم من طرف الدولة العثمانية، وأقاموا بينهم واليا إيذانا بالعبودية لمصر، وإذا كان الحال ما ذكر فإن ظهور هذا الفساد في بلد نحكمها وانشغالنا به لابد أن يكون ناشئا من عدم توافق بينكما فيلزم رؤية هذه المسألة وحلها وفصلها أمامنا خاصة. فعليه، طلبنا من خورشيد بك أن يحضر لهذا الطرف، وأنتم أيضا يلزم حضوركم، فبوصول أمري هذا أبق العساكر الذين هم في معيتك في المحل الذي هم فيه من قبل، وقم سريعًا ومعك بعض من الأتباع وتعالى إلى مصر"(34).

وكتب إلى حسين أغا من زعماء الجند يطلب منه الحضور إلى مصر للتحقيق معه في تمرد الجند ذاكرًا له أنه علم "من المكاتبة الواردة من طريق الينبع أنه حصلت منازعات ومخاصمات بين العسكر في مكة المكرمة، وأنها نشأت عن الخلاف الحاصل بين خورشيد بك وبينكم، وأنكم ذهبتم لجدة. إن ظهور هذه الأمور السيئة في الوقت الذي فتحنا فيه قلعة عكا واتبعناها لمصر، وفي الوقت الذي نحن فيه على وشك الدخول إلى حلب، وفي الوقت الذي بينت فيه قوة مصرنا وقدرتها ولله الحمد؛ ليعد منافيًا لرعاية حقوق النعمة والإحسان. من أجل ذلك رأينا حل هذه المسألة بالذات وبحضوري، وعليه فقد بعثت بطلب لخورشيد بك، ومحمد أغا تركجه بيلمز، وحسن أغا الأرزنجاني؛ فبوصول أمري هذا إليكم فلم العسكر الذين هم معك من جدة واذهب إلى الجهة التي كنت أقمت فيها من قبل، وقم بما أنت مكلف به من الخدمة المحتمة عليك، واعمل على اكتساب رضانا بطاعتك الأوامر، وأوامر سيادة ولدنا الشريف أمير مكة الذي أقمناه في هذه المرة محافظًا لمكة (بالوكالة) واتبع تنبيهه"(35).

وكتب إلى حسن أغا وكيل الحرمين الشريفين، يأمره بالحضور إلى مصر أسوة بخورشيد بك ومحمد أغا تركجه بيلمز للتحقيق معهم بشأن ثورة الجند في الحجاز(36).

كما كتب إلى إسماعيل بك المبرآلاي التاسع في مكة يخبره أنه أمر وكيل الحرمين حسن أغا ومحمد أغا تركجه بيلمز قائد الجند وخورشيد بك المحافظ بالحضور إلى مصر للتحقيق معهم بشأن ثورة الجند، ويخبره أنه عين شريف مكة محافظًا عليها مؤقتًا ريثما يرسل محافظ أخر ويأمره بأن يعني بما هو منوط به من غير تدخل في أمور أخرى(37).

---

(32) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر41، وثيقة 562***، من الجناب العالي إلى حسين أفندي، 7 رمضان 1247هـ/ 9 فبراير 1832م.

(33) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 824***، من الجناب العالي إلى حسين أغا وعلي أغا بكمزجي زادة وخورشيد أغا من قواد الجنود بالحجاز، في 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

(34) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 98، وثيقة 823***، من الجناب العالي إلى تركجه بيلمز، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م.

(35) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 98، وثيقة 824***، من الجناب العالي إلى حسين أغا من زعماء جندنا، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م؛***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 824***، من الجناب العالي إلى حسين أغا وعلي أغا بكمزجي زادة وخورشيد أغا من قواد الجنود بالحجاز، في 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

(36) دار الوثائق القومية: دفاتر***ديوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 825***، من الجناب العالي إلى حسن أغا وكيل الحرمين، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م؛ ***محافظ الحجاز: محفظة 98، وثيقة 825***، من الجناب العالي إلى حسن أغا وكيل الحرمين، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م.

(37) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 826***، من الجناب العالي إلى إسماعيل بك المبرآلاي التاسع في مكة، في 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

وكتب إلى خورشيد بك محافظ مكة المكرمة، يأمره بالحضور إلى مصر للتحقيق معه عن سبب ثورة الجند، التي قيل إن السبب فيها هو الخلاف بينه وبين رؤساء العساكر الأتراك، قائلاً له: "علمت من الخطاب الوارد من حسين أغا الأرزنجاني عن طريق الينبع بالمحاربة التي حصلت بين العساكر التركية وعساكر الجهادية، وقد تبين أن حصول تلك الواقعة على ذلك الوجه ناشئ عن البرودة الحاصلة بينكم وبين رؤساء العساكر التركية، فيلزم حل هذه المسألة بحضوري، وعليه فبوصول أمري إليك قم من المحل الذي أنت فيه وتعالى لطرفنا سريعا، وهذا هو المأمول منك"(38).

في الوقت الذي أصدر فيه أمرًا بتعيين الشريف محمد بن عون محافظًا لمكة المكرمة، في محاولة للتقليل من اتساع الثورة في أنحاء متفرقة من إقليم الحجاز، قائلاً له: "إن تجرؤهم على تلك الأفعال القبيحة في الأقطار التي هي تحت إدارة حكومتنا منذ القديم بينما ولدنا يستولي على عكا والشام بالقوة المصرية وسطوتها، وبينما حلب على وشك أن يستولي عليها أيضًا، لعمل غير لائق يلزم حله وفصله بحضوري، وعليه فقد طلبت من خورشيد بك وتركجه بيلمز أن يحضرا لطرفنا، وكتبت للرؤساء أن يذهب كل واحد منهم إلى المحل الذي كان يقيم فيه قبلاً، فيعسكر فيه ويتمسك بخدمته المكلف بها، والمأمول من ذاتكم الكريمة أن تكتبوا لأولئك الرؤساء بالذهاب إلى محلاتهم من قبل، ومن يمتنع أو يتعلل تعلمونا بتعلله أو امتناعه، كما أننا نتمنى أن تقوموا بما عندكم من المكانة القاطعة برؤية أمور ذلك الطرف (مكة) وتسوية المصالح المقتضية إلى أن نرسل من طرفنا محافظًا، وإن شاء الله إذا علمت ذاتكم العدنانية الشريفة بهذا التكليف تبذلوا مما عندكم من الحمية على الوجه المبين، وهذا أملنا الخالص بكم"(39). ولكن هذا التعيين لم يستمر كثيرًا إذ صدرت الأوامر بعد أقل من أسبوع بتعين إسماعيل بك وكيل محافظ مكة المكرمة، محافظًا عليها(40).

ولكن تركي بلماز لم يمتثل، ولم يرتدع، ويخشى التهديد من جانب محمد علي؛ ربما لإدراكه مدى ضعف موقفه في هذه الظروف الحرجة، فاستجمع قواه، وتقدم إلى مكة المكرمة لإخراج القوات الموالية لمحمد علي من قلعتها، والتي يرأسها الميرآلاي إسماعيل بك، ونهب خزينة مكة وهاجم الجيش النظامي، فلم يجد محمد علي بُدًا من طلب توزيع الجنود التي تحت إدارته على قواد آخرين بعد صرف مرتباتهم من الخمسة آلاف كيس من النقود التي أرسلها إلى مكة(41)، ثم طلب أن يرسل تركي بلماز إلى مصر مقبوضًا عليه(42).

ولم يكتف محمد علي بالخمسة آلاف كيس بل كتب إلى حبيب أفندي مأمور ديوانه يذكر له إرساله "ألفي كيس من النقود محملة في القوارب" إلى الحجاز. ويطالبه "بالتباحث مع محمود أفندي وباسكيوس في أمر إبلاغ ذلك المبلغ إلى خمسة آلاف كيس بتدبير نحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيس وإرساله إلى مكة سريعًا في ظرف هذين اليومين. وننبئكم بأننا عينا حسين أغا الأرزنجاني مأمورًا لتسكيت الجنود في الحجاز، والتوصل بالحيل إلى إرسال كل من المسمى تركجه بيلمز وزنبل أغا إلى مصر، وكتبنا أمرًا خاصًا بذلك فنأمل منكم طلب الأغا المومأ إليه إلى ذلك الطرف في أقرب وقت ممكن"(43).

وفي الوقت نفسه كتب إلى حسن أغا وكيل الحرمين يخبره بقرب وصول أحمد باشا يكن سر عسكر للحجاز للقضاء على تركي بلماز ومعاونيه، ويطلب منه إذاعة الخبر بين الجنود قائلاً له لقد "اطلعت على كتابيكم الآخرين المتضمنين خبر زحف تركجه بيلمز على مكة، وحيث أن المدعو تركجه بيلمز قد تجاوز الحد في طغيانه، فإن أحمد باشا على وشك السفر إلى ذاك الجانب بقيادة الآليين مشاة وآلاي خيالة من جنود الجهادية وألف فارس من فرسان العرب ومعه مهمات عسكرية حربية وغيره، وأحيطكم علما بأنني قد أرسلت إلى طرفكم هذه المرة مبلغ ثلاثة آلاف

---

(38) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 827***، من الجناب العالي إلى خورشيد بك محافظ مكة المكرمة، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م؛ ***محافظ الحجاز: محفظة 98، وثيقة 827***، من الجناب العالي إلى محافظ مكة خورشيد بك، في 9 صفر 1248هـ/ 8 يوليو 1832م.

(39) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر40، وثيقة 828***، من محمد علي باشا إلى أمير مكة المكرمة، في 9 صفر 1248هـ/8 يوليو 1832م.

(40) الوثيقة 43، بحر برا 17، من إسماعيل وكيل محافظ مكة المكرمة إلى ولي النعم صاحب الدولة، بتاريخ 17 صفر1248هـ/16يوليو 1832م، منشورة بكتاب: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: ***من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية***، (أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001) ص 149.

(41) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر41، وثيقة 562***، من الجناب العالي إلى حسين أفندي، 7 رمضان 1247هـ/ 9 فبراير 1832م.

(42) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر41، وثيقة 559***، من الجناب العالي إلى حسن أغا الأزرنجاني وكيل الحرمين الشريفين، في 7 رمضان 1247هـ/9 فبراير 1832م.

(43) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 98، وثيقة 562***، من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، في 7 رمضان 1247هـ/9 فبراير 1832م.

كيس نقدية وكسوة على حساب العلوفه لعساكر المدينة، أما أنتم فإن أصل مأموريتكم في ذلك الطرف هي عبارة عن إصلاح ذات البين.... وعلى إثر وصولكم إلى مكة أن ترسلوا كتابًا باسمي الخاص إلى بكمزجي زادة وخورشيد أغا وأبوشيك حسن أغا تقولون لهم فيه: وصل إلى سمعي أن الجناب العالي لما علم بأحوالكم وحركاتكم هذه عين أحمد باشا يكن مأمورًا لهذا الطرف ووضع تحت قيادته آلايين من المشاة، وآلاي من السواري، وألف فارس من فرسان العرب، وبما أن عملكم هذا خيال من باطل بناء عليه تحسنون صنعًا إذا رجعتم عن هذه الفكرة واعتصمتم بتلابيب العفو والأمان حيث إن الدولة العثمانية لم تستطع مقاومة الحكومة المصرية، وأن المدن الجميلة مثل عكا والشام وحلب دخلت في حوزة الحكومة المصرية، وأن سنجاق أدرنة وإيالة أطنة أيضًا وقعت في قبضتها حتى أن محو بك عين متسلمًا لأورفة، وخلاصة القول أن الدولة العثمانية أدركت أنها فيما بعد لا تستطيع أن تقاوم مصر فأرسلت حضرة نجيب أفندي إلى مصر لتأليف ذات البين فإذا كانت الحالة على هذا الشكل، فإلى أي طريق أنتم مسوقون، وفي أي خيال تتخبطون مع أنكم نشأتم في ظل جنابه العالي وتربيتم بنعمته وكرمه منذ عهد طفولتكم، فإن الذي يحمل ذرة من الإنصاف لا يمكن أن يشغل عقله بهذا الخيال الباطل، فتعالوا واتركوا هذا الخيال الباطل. أما إذا لم تجدوا سبيلاً للسفر إلى مكة فاسعوا في توصيل الرسائل المرسلة إلى حضرة الشريف وانتظروا في ينبوع إلى مجيء أحمد باشا"(44).

ويأمره في اليوم التالي (21 يوليو 1832) في رسالة أخرى "بإنقاذ السفن الموجودة بجدة من أتباع الشقي محمد التركجه بيلمز الخائن"(45).

وكذلك كتب الجناب العالي إلى إسماعيل بك يطلب منه مطاردة المتمردين إلى جدة وهزيمتهم وتأمين من ينضم إليه من جانبهم، ويوصيه بالاتحاد مع الشريف عون محافظ مكة في دفع مكائد محمد تركي بلماز ودفع صولته عن مكة وبتعقبه لغاية جدة إلى أن ينهزم، وأن سعادة أحمد باشا يكن قادم على رأس قوة كبيرة من مشاة الجهادية وخيالتها وفرسان العرب، وأن كثير من البلاد العثمانية ألحقت بمصر، قائلاً له "علمت من التقارير الواردة من حسن أغا وكيل الحرمين كيفية المعركة التي دارت قبل مدة بينك وبين محمد أغا تركجه بيلمز، فوجهت وظيفة محافظ مكة إلى عهدة الشريف عون نخبة السلالة الطاهرة المحمدية، ولما علمت أيضًا من التقرير الوارد أخيرًا من طرف وكيل المومى إليه بأن محمد أغا تركجه بيلمز جهز نفسه تحت تأثير نواياه الفاسدة ببعض المدافع والعساكر في جدة، وأنه زحف على مكة هذه الكرة قد فوضت حالاً إلى أحمد باشا يكن أمر إخماد هذه الفتنة والفساد وأعطيته آلايين مشاة وآلاي خيالة من جنودنا المظفرة، وألف فارس من فرسان العرب، وأنه على وشك القيام إلى ذات الجانب كما أني كتبت إلى حضرة صاحب السيادة الشريف محافظ مكة المكرمة بأن يقدم لكم المساعدة اللازمة ويظاهركم لغاية وصول الباشا المشار إليه إلى طرفكم.

وحمدًا لله تعالى بأننا ببركة معاونة حضرة سيد المرسلين الروحانية، أن الذين كانوا ينظرون إلى بلادنا مصر نظرة الحسد بمناسبة الألطاف الإلهية التي شملتنا في العهد الحالي، أصبحوا أذلاء حقيرين، وأنكم ستعلمون من المحررات التي أرسلت إلى طرفكم، وإلى حضرة الشريف، تفاصيل فتح عكا وإلحاق صيدا وصفد وبيروت والقدس وطرابلس ومدينة الشام، وسائر إيالات الشام، وحلب الشهبا، وكثير من البلاد بالحكومة المصرية.

وحيث إن أيام السرور هذه هي أيام بذل الهمة والصداقة، وإحراز التفوق، والنجاح بين الأقران، وأنكم بسائق هذا الابتهاج قد أظهرتم الصداقة والثبات اللازمة، فالمأمول أن تستمروا بعد الآن أيضًا في إظهار الغيرة والبسالة، وأن تتحدوا قلبًا وقالبًا مع حضرة الشريف المشار إليه، وتقاوموا كيد وضرر أولئك الخونة والمفسدين بعون الله تعالى عند انهزامهم وتقهقرهم أن تطاردوهم لغاية وصولهم إلى جدة، وتشتتوا شملهم وأن تعلنوا للملأ بأن الذي يريد الالتجاء إلى محمد علي فلينفصل عنهم ويأتي إلى طرفكم، وعند وصول الباشا المشار إليه إلى طرفكم، أن تبذلوا الهمة والمقدرة، وتعملوا معه في سبيل المصلحة"(46).

---

(44) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 98، وثيقة 137***، من الجناب العالي إلى حسن أغا وكيل الحرمين الشريفين، في 21 صفر 1248هـ/20 يوليو 1832م؛ رءوف عباس (وآخرون): ***المصدر السابق***، أمر رقم 1675 أمر منه إلى حسن أغا وكيل الحرمين في 22 صفر 1248هـ/ 21 يوليو 1832م، ص345.

(45)دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 142***، من الجناب العالي إلى حسن أغا وكيل الحرمين، في 22 صفر 1248هـ/ 21 يوليو 1832م.

46دار الوثائق القومية:***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 157***، من الجناب العالي إلى إسماعيل بك بمكة، في 24 صفر 1248هـ/ 23 يوليو 1832م.

وفي اليوم التالي كتب إلى شريف مكة محمد بن عون يأمره بدفع مكائد تركي بلماز وينبئه بإرسال أحمد باشا يكن لحربه، ويوصيه بالاتحاد مع إسماعيل بك في دفع مكائد محمد تركي بلماز ودفع صولته عن مكة وبتعقبه لغاية جدة إلى أن ينهزم. وأن سعادة أحمد باشا يكن قادم على رأس قوة كبيرة من مشاة الجهادية وخيالتها وفرسان العرب، وأن كثير من البلاد العثمانية ألحقت بمصر.

ونجح إسماعيل بك في ارغام تركي بلماز على الرجوع إلى جدة، فاستبشر محمد علي خيرًا بهذا النصر، وأرسل كتابًا إلى وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجاني، ومثله إلى الشريف محمد بن عون محافظ مكة المكرمة، طالبًا من الأول العمل على تحسين الوحدة والاتفاق بين المحافظ وقائد القوات ليستطيعا الوقوف أمام هذه المشكلة ريثما تصل القوات التي سيبعثها من مصر، مؤكدًا له مجددًا انتصار قواته في الشام، واستيلائها على أهم المدن فيها، وأن الدولة العثمانية قد أدركت قوته وشوكته، وعدم استطاعتها الوقوف أمام جيوشه، فلجأت إلى ارسال مندوبًا عنها لإصلاح ذات البين بين مصر والباب العالي(47). وطلب من الثاني عدم تمكين تركي بلماز من الوصول بقواته إلى مكة المكرمة، واستخدام جميع السبل للحيلولة دون ذلك، وكذلك التعاون مع إسماعيل بك لإيقاف هذا الخطر. ريثما يصل قريبًا أحمد باشا يكن المبعوث لهذه المهمة(48).

تمادى محمد علي في إعجابه بانتصار قواته في الشام حين بعث إلى قادة الثورة في الحجاز بمكاتبة في 24 يوليو 1832 مذكرًا إياهم بأن "هذه القضية قد نشأت عن البغضاء التي تكونت بينكم وبين خورشيد بك فقد دعوت خورشيد بك المشار إليه ودعوتكم أيها التركجه بيلمز لتحضرا لدي ولتنظر دعواكم عندي، كما دعوت حسن أغا وكيل الحرمين إلى الحضور إذا كان بتلك الديار حين حدوث هذه الحوادث، ولكنني علمت من الأوراق الواردة أخيرًا أنكم قمتم من جدة بعد ذلك القتال، وتوجهتم تلقاء مكة لتبسطوا إليهم أيديكم بالسوء بزعمكم الفاسد".

مهددًا إياهم بأنه قد أرسل "تحت إمرة يكننا حضرة صاحب السعادة أحمد باشا آلايين من مشاة جنودنا الجهادية المنصورين، وآلايًا من فرسانهم، وألف خيل من العربان، وكتبت إلى حضرة الشريف بأن يزحف عليكم مع العربان الذين بتلك الجهة، فإن أصررتم على زعمكم الباطل فلم تعدلوا عن طريق الفساد الذي أنتم سالكوه، فلا ريب أنهم سيحملون عليكم حملة تشتت شملكم جميعًا، وإن زعمتم أنكم ستجدون السلامة في الفرار إلى جهة فلن تفلحوا، إذ إن بلاد العرب قد ألحقت بمصر بأسرها في هذا العصر ولله الحمد، كما أطلعتم على ذلك في الوقائع، وستطلعون أيضًا وقد تتبعت بغداد بنا أخيرًا، وكم من بلد ستخضع للحكومة المصرية بعد ذلك، وقد بلغ الأمر إلى أن يئس رجال اسطنبول من المداولة واتخاذ قرار في هذا الموضوع حتى غادر اسطنبول قبوكتخدانا نجيب أفندي قاصدًا نحو مصر، فأينما توجهتم فلن تبلغوا السلامة إذًا أبدًا، واعلموا أن منكم من ربُي في بيتي، ومنكم من نشئ بنعمتي وإني لا أرض لكم هذه الدرجة من الشقوة، فكفوا أيديكم إذًا عن هذه الدعوى الباطلة، ولا تلقوا بأيديكم إلى مثل هذه التهلكة العظيمة، واعترفوا بذنوبكم، وليحضر التركجه بيلمز إلى هذا الجانب للنظر في دعواه كما كتبنا إليه أول مرة، وليثبت سائر قوادنا في وظائفهم القديمة، ينل السلامة إذا كان منكم، أما إن اتبعتم الشيطان في هذه المسألة وظللتم خائضين فيما أنتم عليه من الأفعال، فهلا تدرون أنكم ستحملون أوزار عباد الله، كما أنكم ستفنون أنفسكم من الدنيا.

فيا أيها الحمير! أليس برهانًا أن دولة آل عثمان قد أصابها ما أصابها بعد أن فشلت وعجزت عن نضال مصر؟ فكم من بلد أخذ منها، وألحق بمصر بعد الحروب التي جرت فكان عاقبة أمرها أن يثبت حتى جنحت إلى السلم فأوفدت إلينا نجيب أفندي، أسفي عليكم أيها الحمير!، ما هي قدرتكم؟ وما هي قيمتكم؟ وكيف تأملون النجاح في هذا العمل الذي أنتم مقدمون عليه؟ أفلا تجمعون شتات عقولكم فتفكرون؟ أم نسيتم قوة مصر، وقد أصدرنا مرسومنا هذا وأرسلناه إليكم هذه المرة رحمة بكم ورأفة، فيبقى أن تعملوا بمقتضاه وتحذروا مخالفة فحواه كل الحذر"(49).

في نفس الوقت كتب إلى إسماعيل بك قائد قوات مكة المكرمة يهنئه على انتصاره الموفق على قوات محمد أغا تركي بلماز، ويطلب منه الصمود لأي نوايا عدوانية يقوم بها مجددًا ضد مكة المكرمة، ومؤكدًا له مدى أهمية تعاونه مع الشريف محمد بن عون الذي أسندت إليه وظيفة

(47) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 137***، من الجناب العالي إلى حسن أغا الأزرنجاني وكيل الحرمين الشريفين، في 21 صفر 1248هـ/20 يوليو 1832م.

(48) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 155***، من الجناب العالي إلى حضرة الشريف محافظ مكة، في 25 صفر 1248هـ/24 يوليو 1832م.

(49) دار الوثائق القومية: ***دفاتردیوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 156***، من الجناب العالي إلى تركجه بيلمز وزملائه، في 25 صفر 1248هـ/24 يوليو 1832م.

محافظ مكة، كما أخبره بأنه قد فوض أمر إخماد هذه الفتنة إلى أحمد باشا يكن، على رأس قوة كبيرة من مشاة الجهادية وخيالتها وفرسان العرب، وأن كثير من البلاد العثمانية ألحقت بمصر(50).

وقد أدت الأنباء التي ترددت في الحجاز عن تحرك القوات التي يقودها أحمد باشا يكن باتجاه الجزيرة العربية للقضاء على الثوار، إلى رد فعل قوي لدى الثوار بشكل خاص، أدت في النهاية إلى تحركهم جنوبًا باتجاه اليمن وموانئه، مدعين خضوعهم للسلطان العثماني الذي انشق محمد علي عليه، وحاربه في الشام، عليهم يستجلبوا عطف أهل البلاد ضد قوات الباشا التي وصلت لمحاربتهم.

وما أن وصل أحمد باشا يكن بقواته إلى ينبع لتنفيذ تلك الأوامر بعدة فرق من القوات النظامية، واستأجر معه بعض البدو، في الوقت الذي وصلته الأنباء بسقوط عكا، فلما سمع تركي بلماز بمقدم تلك القوة إلى جدة لتحقيق إرادة محمد علي من القبض عليه وإرساله إلى مصر وبنبأ سقوط عكا الذي كتب محمد علي إلى أمير مكة مباشرة ليذيعه لاذ تركي بلماز بالفرار إلى اليمن، دون أية مقاومة تذكر، في محاولة لإقناع شيخ عسير علي بن مجثل بالانضمام إليهم والمحاربة في صفوفهم ضد محمد علي وجيوشه(51).

وأقلق هذا الأمر بريطانيا صاحبة المصلحة الإستراتيجية في اليمن، فأبدى القنصل البريطاني في مصر الكولونيل كامبل Colonel Campbell استياءه من تحطم الثورة بصورة سريعة، وتخوفه من اتساع نفوذ الباشا في اليمن، فأبرق إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد بامستون Lord Palmerston الذي كان حريصًا على معرفة مصير ثورة تركي بلماز ورفاقه.

عند هذه الحالة بدأت الثورة تأخذ بعدًا آخر، سيكون موضوع بحث آخر، وبدأت أنبائها تستحوذ على فكر محمد علي بشكل قوي وفعال، لأنها جاءت في وقت خطير للغاية، بالنسبة لأهداف الباشا وتطلعاته، خاصة بعد توجه الثوار إلى اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية.

وصلت قوات أحمد باشا يكن إلى ميناء ينبع أثناء عودة تركي بلماز إلى جدة، واستولى على تسع عشرة سفينة كانت راسية في ميناء جدة، ليحمل عليها جنوده ورجال حركته إلى ميدان آخر للمعركة والثورة، وكانت اليمن هي الجهة الوحيدة التي يمكنه الاتجاه إليها، فانضم إلى علي بن مجثل شيخ عسير في هجومه على أبي عريش التي يتولى أمرها الشريف علي بن حيدر، الخاضع لمحمد علي، وتمكنا من الاستيلاء على أبي عريش وفرض شروطهما على الشريف علي بن حيدر، كان هذا في الوقت الذي وصلت فيه قوات أحمد باشا يكن إلى جدة، ودخلتها بدون أي مقاومة، بعد انسحاب الجند التابعة لتركي بلماز إلى قنفدة، إلا أن أهل المدينة وحاميتها استطاعوا منعهم من دخولها.

وعن التعاون بين علي بن مجثل وتركي بلماز يقول بيتر برنيث "وفي عام 1832 أرسل محمد علي جيشًا عسكريًا تأديبيًا تحت قيادة أحد قواده المدعو أحمد باشا إلى بلاد عسير جنوب الحجاز حيث كان أحد شيوخ عسير المدعو علي يساعده أحد القواد الأتراك المرتدين الخونة يعيثون في الأرض فسادًا، ويعكرون صفو الأمن في المشيخات وبلاد الإمام والبلدان المجاورة. اصطحب أحمد باشا عددًا من رجال الطب الفرنسيين والطليان، وكان الطبيب المسؤول قد عين أمين سر له وهو شاب امتلكته فكرة رؤية الشرق عن كثب، واسمه موريس تاميزير Mourice Tamisier"(52).

إلا أن الاتفاق الذي تم بين علي بن مجثل، وتركي بلماز، كانت له آثار سريعة على القوات المصرية التي يقودها أحمد باشا يكن في الحجاز، إذ سرعان ما كتب لمحمد علي والي مصر يوضح له الحالة التي تعيشها المنطقة جراء هذا الاتفاق، وأن الأمر يتطلب إرسال الميرآلاي إسماعيل بك مع قوة عسكرية إلى القنفدة(53)، في الوقت الذي سيحاول فيه أحمد باشا يكن مع الشريف محمد بن عون السيطرة على زمام الأمور في الحجاز، لتطويق الثائرين مع أنصارهم من عسير في أضيق دائرة مكانية، يمكن من خلالها التغلب عليهم بسهولة.

---

(50) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر44، وثيقة 157***، من الجناب العالي إلى إسماعيل بك، في 24 صفر 1248هـ/ 23 يوليو 1832م.

(51) ***الوقائع المصرية العدد رقم455*** بتاريخ 25 جمادى الآخرة 1248هـ/ 18 نوفمبر 1832م، نقلا عن أمين سامي باشا: ***المصدر السابق***، ص 407، 408.

(52) بيتر برنيث: ***بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب***، ترجمة خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 123.

(53) من موانئ تهامة على ساحل عسير، وهي بلدة صغيرة مسورة، على بعد مائة ميل جنوبي جدة، يجلب لها الماء العذب من الحفير على بعد ميلين ونصف منها. (عبد الحميد البطريق: ***المرجع السابق***، ص 70).

أما تركي بلماز، الذي لم يستطع دخول القنفدة، فقد عول على المسير جنوبًا عله يجد له مقر هناك، فاتجه إلى مدينة الحديدة محاصرًا لها، باسم السلطان العثماني، حتى استسلمت في 30 ربيع الثاني 1248هـ/ 25 سبتمبر 1832م، وقام بوضع حامية بها من أربعمائة جندي، ثم اتجه إلى مدينة زبيد(54)، التي خضعت له بعد مقاومة دامت ثلاثة عشر يومًا، واستقر به المقام في مخا التي خضعت له في شهر رجب 1248هـ/ ديسمبر 1832م. ثم بعث إلى السلطان محسن فضل العبدلي سلطان لحج وعدن برسالة يطالبه فيها بتسليم ميناء عدن إليه، فتظاهر السلطان بالموافقة على تسليم الميناء إليه، وعندئذ أرسل تركي بلماز كتيبة صغيرة لاستلام الميناء تتكون من أربعين رجلاً، وصلت إلى ميناء عدن في 26 رمضان 1248هـ/ 17 فبراير 1833م، واستقبلهم السلطان استقبالاً حسنًا، ثم قلب لهم ظهر المجن وأمر جنوده بمهاجمتهم ليلاً فقتلوا منهم 27 رجلاً، وفر الباقون إلى المخا(55).

أمام الأمر الواقع اضطر تركي بلماز إلى أن يغير من حساباته العسكرية، ويعدل من استراتيجيته التوسعية، ففكر في شوال 1248هـ/ مارس 1833م، في وضع خطة هجومية على ميناء جدة عن طريق البحر، محاولاً الاستعانة بقوات علي بن مجثل عن طريق البر، إلا أن علم الأخير بوصول حملة أحمد باشا يكن لتعقب تركي بلماز بخمسة عشر ألف مقاتل، جعله ينقلب عليه، ويخطب ود أحمد باشا يكن، ليحقق مزيد من المكاسب الشخصية على حساب تقدمه إلى اليمن، وسرعان ما استولت قوات علي بن مجثل العسيري على زبيد، في طريقها إلى المخا، مقر تركي بلماز وقواته، وضربت عليها الحصار من البر، بينما القوات المصرية تحاصرها من البحر(56)، حتى سقطت 1833م(57).

ولاشك أن محمد علي بعد هذه التطورات كان يرى أن يسيطر على اليمن وموانئه المهمة، وتجارة البن الرائجة المربحة، وإلا لما أعد هذه الحملة التي بلغت كما ذكرنا خمسة عشر ألف مقاتل، مع علمه بتعاون علي بن مجثل العسيري مع قواته.

وعلى أية حال فقد ساءت أحوال تركي بلماز كثيرًا بعد أن طبق عليه الحصار من البر والبحر، وباءت جميع محاولاته للصلح بالفشل، نتيجة لطلب قادة الجيوش المحاصرة منه التسليم دون قيد أو شرط، عندئذ لم يبق أمامه هو وجنوده إلا النجاة بأنفسهم من المصير المجهول الذي ينتظرهم علي أيدي القوات المصرية، فهرب تركي بلماز في اللحظات الأخيرة على ظهر القوارب الصغيرة، والتي غرق معظمها بمن فيه من الجنود في عرض البحر، قبل أن يصل إلى إحدى السفن البريطانية، واستطاع تركي بلماز ومعه 150 النجاة والوصول إلى السفينة البريطانية دجلة Tigris التي أبحرت بهم إلى بومباي في الهند، وما أن سمع محمد علي بفراره إلى بومباي إلا وأصدر أمرًا بتجريده من رتبه العسكرية وقطع كافة مرتباته ومصادرة جميع أملاكه التي بمصر(58).

ولكن تركي بلماز عاد من الهند فيما بعد إلى البصرة (59)، واستقر فيها رئيسًا على السفن الموجودة بميناءها، فكان منصبة كما تذكر الوثائق "سر عسكر قبودان(60) باشا حاكمًا على البر والبحر على السفن الموجودة بالبصرة"(61)، وظل محمد أغا تركي بلماز يمارس عمله هذا إلى أن وصلته الأخبار بسقوط الرياض والقبض على فيصل بن تركي، وبأن خورشيد وصل البحرين والكويت وأنه قادم لإخضاع البصرة فنشط لمواجهة هذا الموقف بإثارة القلاقل ضد خورشيد في نجد ومنطقة الخليج، وأرسل مكاتبات إلى الأعراب وجنود خورشيد ليحثهم على التمرد عليه (62)، وكتب إلى والي بغداد ليبعث إليه على وجه السرعة"عسكرًا وأسلحة وجبخانة بقدر ما يكفي للمحافظة على البصرة"(63)، للتصدي لخورشيد

---

(54) مدينة مسورة تقع على الطريق بين عدن ومكة، وتبعد عن الساحل بحوالي 25 كيلو متر، بها عدد من الأبنية الأثرية، ذكرها المقدسي (عبد الحميد البطريق: ***المرجع السابق***، ص 71).

(55) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: ***المصدر السابق***، ص 142، 143.

(56) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: ***المصدر السابق***، ص 143.

(57) سلطان بن محمد القاسمي: ***الاحتلال البريطاني لعدن 1839م***،(الشارقة: دار الغرير للطباعة والنشر، 1992)، ص 112، 113.

(58) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر 50، وثيقة 35، أمر رقم 401***، من الجناب العالي إلى حبيب أفندي، في 14 ذي القعدة 1248هـ/ 5 أبريل 1833م.

(59) دار الوثائق القومية: ***محافظ ديوان بحربرا، محفظة 17، وثيقة 49***، من إسماعيل بك وكيل محافظ مكة إلى الجناب العالي، 17 صفر 1248هـ/ 16 يوليو 1832م.

(60) تحريف لكلمة كابتن Capitaine الفرنسية، وتعني قائد السفينة في البحر. محمد فريد بك: ***الدولة العلية العثمانية***، تحقيق إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، 1981)، ص 227.

(61) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 103، وثيقة 7 حمراء***، من مير ميران خورشيد باشا إلى صاحب الدولة والعاطفة، في 3 ربيع الآخر 1255هـ/ 15 يونيو 1839م، المرفق العربي للوثيقة تقرير محمود أغا المورة عن الوضع في البصرة، في 3 ربيع الأخر 1255هـ/ 15 يونيو 1839م.

(62) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 103، وثيقة 5 أصلية، 198 حمراء***، من محافظ المدينة المنورة إلى كبير معاوني الجناب العالي، في 9 صفر 1255هـ/ 23 أبريل 1839م.

باشا، فيما لو استمر في زحفه تجاه البصرة، في الوقت الذي لم يقدم فيه للإمام فيصل بن تركي، الذي بدأت قوات خورشيد تهدده، غير الوعود وكلمات التشجيع التي لم يستفد منها.

وبعد أن علم تركي بلماز بسقوط آخر معقل للإمام فيصل بن تركي في نجد، وسيطرة قوات خورشيد باشا على المنطقة، لجأ إلى أساليب أخرى يهدف من خلالها زعزعة موقف قوات الباشا، للحيلولة دون تقدمها إلى البصرة، إذ بدأ في مراسلة الجنود والأعراب، ودعوتهم للتضامن مع والي بغداد ضد خورشيد باشا وقواته(64).

ولكن نتيجة لفرار بعض الجند من البصرة إلى جهة خورشيد باشا حدث خلاف بين والي بغداد وتركي بلماز أدى إلى عزل الأخير من منصبه واستدعائه للإقامة في بغداد، وهنا أدرك تركي بلماز حرج موقفه بعدما فشل في مخططه لمواجهة زحف خورشيد باشا فبادر بالسعي للانضمام إلى خورشيد باشا مقرًا على نفسه أنه"إذا عفا سعادة أفندينا عما مضى فإني خادم مملوك إلى الأبد نظير الذنب الذي تقدم فعله"(65).

وتسكت الوثائق عن الرد ولا تذكر ماذا كان مصير طلب تركي بلماز هذا، وذلك نتيجة لتأزم الموقف الدولي ضد محمد علي وتفكيره في سحب قواته من الجزيرة العربية فلم يعر مطلب تركي بلماز كبير اهتمام، ولا ندري بعد ذلك أي شيء عن مصير طلب تركي بلماز(66).

ومن هنا بدأ نجم هذا الضابط التركي في الأفول، إذ ابتعد عن مسرح الأحداث الهامة، ولم يعد له من الأهمية ما كان له من قبل. واختلفت المصادر في مصيره النهائي، فقد أكد محافظ المدينة المنورة محرم أغا في رسالة بعث بها إلى محمد علي يقوله له إن غضب والي بغداد قد أدى إلى قتل تركي بلماز، بناء على ما ورد إليه من أخبار شبه مؤكدة(67). في حين أكدت بعض المراجع التاريخية أنه كان قائدًا لبعض القوات العثمانية التي اشتبكت مع عشائر المنتفق عام 1269هـ/ 1853م، وأنه قتل في تلك المعركة على يد مشاري السعدون(68).

ومهما كانت نهاية محمد أغا تركي بلماز، وكيفيتها، فإن الذي يعنينا في هذا البحث، هو الأثر السلبي والإيجابي لثورته، عندما بدأت في الحجاز، وبصفة خاصة مكة، ووصلت إلى اليمن، ومدى ما خلفته على الجزيرة العربية من انعكاسات أثرت على مجريات الأمور في المنطقة لتؤدي بالتالي إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية على حد سواء في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية، كما أنها فيما بدا لنا من أهم تأثيرات الصراع المصري العثماني في الشام مطلع ثلاثينيات القرن التاسع عشر على الحجاز.

ولعلنا نتعجب من التعاطف الذي أبدته بريطانيا حول استقبالها تركي بلماز وجنوده الثائرين، ونقلهم من مكان المعركة على ظهر سفن شركة الهند الشرقية إلى بومباي، ثم إلى البصرة والمحافظة على سلامتهم، ولكن هذا التعجب سوف يزول إذا ما أدركنا مدى حرص بريطانيا المستمر على تدعيم سيطرتها في جنوب البحر الأحمر، حماية لمصالحها الاقتصادية ضد التوسع المحتمل لنفوذ محمد علي، الذي وصل إلى هناك بحجة القضاء على ثورة تركي بلماز، رغم انشغاله بحرب الشام الأولى، ضد الدولة العثمانية، والتي لم تضعف من عزيمته في تتبع هذه الثورة والقضاء عليها.

يضاف إلى ذلك إدراكها لمحاولات محمد علي في فرض نفوذه على إقليم الحجاز، وعسير، إذ إنه بعد هروب الثوار من جدة إلى اليمن، فإن قواته التي يقودها أحمد باشا يكن لم تكتف بمطاردة الثوار فحسب، بل قامت بتنفيذ أطماع محمد علي التوسعية في الجزيرة العربية، تحت ستار ثورة الجند غير النظاميين، محاولاً منع تدخل بريطانيا التي سعى لإقناع قنصلها في مصر بخطورة ثورة تركي بلماز على المصالح البريطانية.

---

(63) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 103 ، وثيقة 7 حمراء***، من مير ميران خورشيد باشا قائد الحملة المصرية في نجد إلى صاحب الدولة والعاطفة، في 3 ربيع الآخر 1255هـ/ 15 يونيو1839م.

(64)عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: ***المرجع السابق***، ص 187.

(65) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 103 ، المرفق العربي للوثيقة 4 حمراء***، من خورشيد باشا إلى الباشمعاون جناب دوري، في 27 جمادى الأولى 1255هـ/ 7 أغسطس 1839م.

(66) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: ***المرجع السابق***، ص 175؛ محمد حسن العيدروس: ***المرجع السابق***، ص 227؛ عبد الرحمن الرافعي: ***عصر محمد علي***، (القاهرة: دار المعارف، 1989)، ص310، 311، ص358.

(67) دار الوثائق القومية: ***محافظ الحجاز، محفظة 102 ، وثيقة 69 أصلي 264 حمراء***، من محرم أغا إلى محمد علي باشا، في 25 جمادى الآخرة 1254هـ/ 15 سبتمبر 1838م.

(68) عبد العزيز سليمان نوار: ***تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا***، (بيروت: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1968) ص178.

ولم يكتف محمد علي باشا بالقضاء على هذه الثورة وهروب قائدها إلى الهند، بل اتخذ عدة إجراءات، كان يهدف من خلالها إلى استتباب الأمن، وفرض الطاعة بين وحدات الجيش، لكي لا تعود إلى الثورة مجددًا على غرار ما قام به محمد أغا تركي بلماز وجنوده، ففي الوقت الذي أمر فيه بمصادرة أملاك قادة الثورة وتجريدهم من رتبهم العسكرية كما ذكرنا، فإنه أصدر أمرًا بإعدام محمد أغا الحبشي، قائد الأورطة الثانية، التابعة لتركي بلماز، رميًا بالرصاص، وكذلك جميع ضباط تلك الأورطة إلى رتبة ملازم ثاني، لتكون عبرة للآخرين كما يقول في ذلك الأمر(69).

أما من اشتبه في أمرهم وحامت حولهم بعض التهم في مساندة تلك الثورة، أو التواطؤ مع قائدها، مثل وكيل الحرمين حسن أغا الأرزنجاني، فقد قدموا للمحاكمة، إلا أن الباشا قد خفف من عقوبة الإعدام التي قررها مجلس الجهادية ضد الأرزنجاني لكبر سنه وشيخوخته، إلى "نزع توكيل الحرمين الشريفين من حسن أغا الأرزنجاني وإسناده إلى شخص أخر، واستدعائه إلى المجلس وتلاوة عليه كتاب الخائن تركجه بيلمز الذي ينسب إليه أسوأ الأعمال نظرًا لمنعه خورشيد بك من الذهاب إلى جدة لتأديب العساكر المتمردة وتسببه في عدم دخول المرحوم إسماعيل بك إلى مكة وبرغمه على الاعتكاف في منزله"(70).

ويعني ذلك أن محمد علي باشا قد وقف موقفًا صارمًا ضد تلك الثورة التي استهدفت تحطيم نفوذه في الحجاز بشكل خاص، وشبه الجزيرة العربية بشكل عام، والتي أدرك أبعادها قبل أن تستفحل، ويشتد عودها، رغم أنها جاءت في وقت خطير ودقيق، فقد كان الباشا خلاله يخوض غمار حرب في الشام ضد الدولة العثمانية، ويمكننا القول إن هذه الثورة قد ساعدت محمد علي على تحقيق أهدافه التوسعية في جنوب شبه الجزيرة العربية، بل عجلت بإقدامه على تحقيق هذه الأهداف، في الوقت الذي أظهرت فيه مدى الحرص البريطاني، والاهتمام الشديد بموانئ اليمن الهامة، ولعل تعيين تركي بلماز في منصب بالبصرة بعد فراره، يؤكد أنه كان لخدمة الأهداف الاستراتيجية البريطانية، فكان تعيين تركي في هذا المنصب نتيجة لإيعاز بريطاني إن لم يكن بالضغط المباشر على والي بغداد، الذي لم يكن من السذاجة بمكان ليمنح هذا المركز إلى ضابط تركي لم يستطع أن يثبت أقدامه في اليمن، وعصى سيده.

وكلفت تلك الثورة محمد علي الكثير خاصة بعد تدخل علي رضا باشا والي بغداد، والسلطان العثماني فيها، باتصالاتهم بقائدها، وصدور فرمان سلطاني من الباب العالي بتعينه واليًا على الحجاز، وقام الجند الثائرون بارتكاب كثير من الأعمال التعسفية، وهنا أدرك محمد علي دوافع هذه الثورة، ومدى تأثيرها على آماله وطموحاته، خاصة وهي تنبعث من الحجاز، ومن جوار الحرمين الشريفين، اللذين يحتلان أهمية دينية وسياسية في إستراتيجية الباشا التوسعية في الجزيرة العربية، ومن هنا كان عليه أن يوازن بين استخدام السياسة والمهادنة مع الثوار، وبين الأسلوب الحربي، واللجوء إلى القوة المسلحة، لكي لا تتسع آفاق الثورة، ويصعب علاجها، لاسيما وأنه قد أدرك أن والي بغداد يلعب دورًا خطيرًا في تدعيم زعيم الثوار، بهدف عزل الحجاز عن حكومته، الأمر الذي سيؤثر بدون أدنى شك على إستراتيجيته العسكرية وخططه الحربية في ذلك الوقت، فأرسل أحمد باشا يكن بقوات نظامية، واستأجر معه بعض البدو، فأطبق الحصار من البر والبحر على تركي بلماز إلى أن ساءت أحواله في الوقت الذي وصلته الأنباء بسقوط عكا، عندئذ لم يبق أمامه هو وجنوده إلا النجاة بأنفسهم من المصير المجهول الذي ينتظرهم علي أيدي القوات المصرية، فهرب تركي بلماز في اللحظات الأخيرة على ظهر القوارب الصغيرة، والتي غرق معظمها بمن فيه من الجنود في عرض البحر، قبل أن يصل إلى إحدى السفن البريطانية.

ونجح محمد علي في القضاء على هذه الثورة دون أن يخل بإستراتيجيته العسكرية في الشام، وقبل أن تستفيد منها الدولة العثمانية في مقاومته، كما أظهرت تمكنه من التعامل مع بريطانيا بأسلوب سياسي رفيع، ليتلافى الاصطدام بها في تلك الفترة الحرجة التي يمر بها عسكريًا، إبان حرب الشام الأولى، والتي بدأ من بعدها بتدعيم نفوذه في تلك المنطقة، من الناحيتين العسكرية والسياسية.

(69) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر54، وثيقة 112***، من الجناب العالي إلى إبراهيم أفندي ناظر المجلس، في 7 ذي الحجة 1248هـ/ 27 أبريل 1833م.

(70) دار الوثائق القومية: ***دفاتر ديوان المعية سنية تركي، دفتر54، وثيقة 112***، من الجناب العالي إلى إبراهيم أفندي ناظر المجلس، في 7 ذي الحجة 1248هـ/ 27 أبريل 1833م.

وقبل أن نسدل الستار على أحداث ثورة الجند غير النظامية في الحجاز إبان حرب الشام الأولى، يتبادر إلى الذهن سؤال، تبقى الإجابة عليه رهن التكهنات، وهو هل كان عصيان قوات محمد علي غير النظامية في الحجاز بسبب طموحات فردية من قادة الجند عند إدراكهم لضعف سيطرة الباشا على الحجاز إبان حرب الشام الأولى؟. أم أنها انطلقت من مبدأ الولاء للباب العالي عندما عرفوا بخروج محمد علي على السلطان العثماني في الشام؟.

وأيا كانت الإجابة على هذا السؤال، فمما لا شك فيه أن قيام هذه الثورة قد أثر على قوة الباشا العسكرية، وكاد أن يخل بأهدافه الإستراتيجية وتطلعاته، إلا أن هذه الثورة قد عجلت باتجاه الباشا إلى الجزيرة العربية، ليخوض غمار صراع فيها، وهو لا يزال يخوض غمار الحرب ضد الدولة العثمانية.

المصادروالمراجع

وثائق غير منشورة

دار الوثائق القومية بالقاهرة:

- **محافظ الحجاز: المحفظة95، المحفظة96، المحفظة98،المحفظة102، المحفظة103.**
- **محافظ ديوان بحر برا: المحفظة4، المحفظة6، المحفظة16، المحفظة9،المحفظة17.**
- **دفاتر ديوان المعية سنية تركي: دفتر4، دفتر14، دفتر40، دفتر41، دفتر44، دفتر50 دفتر54.**

وثائق منشورة

1. رءوف عباس (وآخرون): ***الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي***، المجلد الأول (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2005).
2. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: ***من وثائق الأرشيف المصري في تاريخ الخليج وشبه الجزيرة العربية***، (أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001).

مصادر منشورة

1. أحمد فضل بن علي محسن العبدلي: ***هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن***، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1351ه).
2. أمين سامي باشا: ***تقويم النيل، الجزء الثاني، عصر محمد علي باشا***، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2003).
3. عبد الرحمن الجبرتي: ***عجائب الآثار في التراجم والأخبار***، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ***الجزء السابع***، و***الجزء الثامن***، (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2003).
4. عثمان بن عبد الله بن بشر: ***عنوان المجد في تاريخ نجد***، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، **الجزء الأول**، (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1982).

كتب ودراسات

1. بيتر برنيث: ***بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب***، ترجمة خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 123.
2. بيير كربتيس: ***إبراهيم باشا***، ترجمة محمد بدران (القاهرة: 1937).
3. سلطان بن محمد القاسمي: ***الاحتلال البريطاني لعدن 1839م***،(الشارقة: دار الغرير للطباعة والنشر، 1992).

4. عبد الحميد البطريق: ***من تاريخ اليمن الحديث 1517 1840*** (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1969).

5. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: ***محمد علي وشبه الجزيرة العربية 1819 – 1840***، (القاهرة: دار الكتابالعربي، 1986).

6. عبد العزيز سليمان نوار: ***تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا***، (بيروت: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1968).

7. على الوردي: ***لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر***، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1969).

8. محمد حسن العيدروس: ***تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر***، (الكويت: عين للدراسات الإنسانية الاجتماعية، 1996).

9. محمد فريد بك: ***الدولة العلية العثمانية***، تحقيق إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، 1981).